

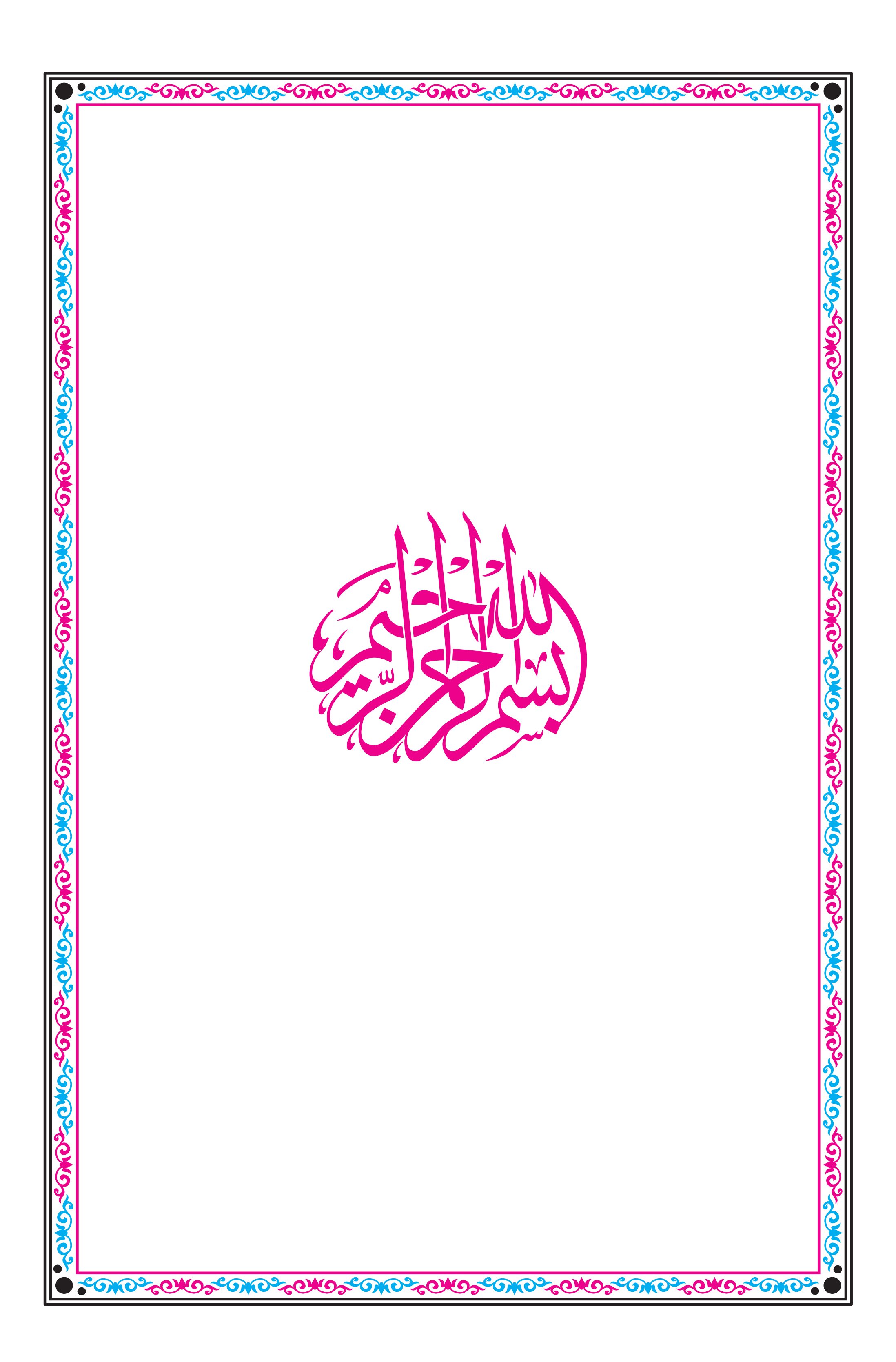
تعظيم السنة

كتبه



القاضي بمحكمة الاستئناف بمكة المكرمة




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده أما بعد؛

فـإن السـنة النبوية هي المصدر الثاني للإسـلام وأحكامه، فهـي قرينة القرآن وتفسـيره وبيانه، وعلىٰ هذا جرىٰ عمل الصحابة وعلماء الملة من فجر الرسـالة حتىٰ قيام الساعة.

صاحبها أفضل الخلق وسيد البشر، روح الحياة ونبض الفؤاد ونور البصر.

نـورٌ أطـلّ علـىٰ الحيـاةِ رحيمًـا   وبكفّـهِ فـاضَ السّـلامُ عمِيمـا
لـمْ تعـرِف الدُّنيـا عظيمًـا مثلَـه   صلّـوا عليـه وسـلّموا تسـلِيما

***

فعليـه صلـىٰ الله مـا قلـمٌ جَـرىٰ   أو لاح بـرق في الأباطـح أو قُبـا

أجمعـت أمـة الإجابة علىٰ نبوته، وقبول رسـالته وحديثه وسـنته، ولا يصح إسـلام المرء حتـىٰ يلفظ بالشـهادتين، ويقـر بهما اعتقـادًا وعملًا، ولكـن مازال الجهل والهوىٰ والغرور ملازمًا لأقوام يدعون أنهم مسـلمون وماهم بمسـلمين، يدعون أنهم أحرار وما هم بأحرار، يدعون أنهم أذكياء وما هم بأذكياء ولا أزكياء،

يهـذون بما لا يدركون، وافقوا أهل الكفر والنفاق والزندقة والإلحاد في إنكارهم سنة رسول الله خير العباد، والطعن في أصح كتاب بعد كتاب الله العزيز الوهاب.

قامـتْ قيامـةُ شَـرّهم لمـا رأوا　　　نـورَ الإلـه يسـيرُ في بحـرٍ وبـرّ

قـام أحدهـم حاملًا ذلك، جاهـلًا معاندًا، وقد نفخ الشـيطان في أنفه بصعيق سـخفه، فانبرىٰ لرد كلام سـيد الـورىٰ، في ضروب مـن اللغو والجهـل والدجل والفرىٰ، فلا يظننّ أنه فاز بالسباق ولو كان بحلبة السفهاء والأشرار والأعداء.

خابوا وخسـروا مهما قالوا وفعلـوا، فدين الله منصور وظاهر، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الكهف: ٨].

أَعـرِض عَـنِ الجاهِـلِ السَـفيهِ　　　فَـكُلُّ مـا قـالَ فَهْـوَ فيـهِ
مـا ضَـرَّ نهـرَ الفُـراتِ يَومًـا　　　أن خـاضَ بَعـضُ الـكِلابِ فيـهِ

***

لـو كل كُلـبٍ عـوي ألقمتَـه حجرًا　　　لأصبـحَ الصخـرُ مثقـالًا بدينـار

***

مـا يضُّـر البحـرَ أمسـىٰ زاخـرًا　　　أن رمـىٰ فيـه غـلامٌ بحجـر

فانتفض أهل الإسـلام صغارًا وكبارًا، رجالًا ونسـاء، غيرة لدين الله، ودفاعًا عن سـنة رسـول الله ﷺ برميهم عن قوس واحدة، اسـتخفافًا بقولهم وعقولهم، فتكشـفت عوراتهم، وسقطوا في مسـتنقع الهوىٰ، وجلبوا لأنفسهم الذل والخزي والعار، والموعد الله.

يا ناشـرَ السـخفِ قد حرّكـتَ تيّارًا　　　إن كنتَ ريحًا فقد لاقيتَ إعصارا

***

عـادوا بخيبتهـم والأرضُ تلفظهُم   والريحُ والصخرُ والأشجارُ والغارُ

واعلمـوا رحمكم الله: أن جحد السـنة النبوية، وإنكار العمـل بالقطعي منها رواية ودراية، مخرج من الملة[1]، وقائله مردود عليه بالكتاب والإجماع والعقل، وأنّىٰ لجاحـد ذلـك أن يعبد الله، فهـل في القرآن صفـة للصلاة والزكـاة والصيام والحج؟!، وكيف يَتعامل الخلق مع بعضهم في بيع وشراء ونكاح؟! وكيف تكون إقامة العدل وحدود الله في الأرض؟!.

فأين العقل والفكر؟!. رأي محجوج، وقول ممجوج، وفكر معوج مشجوج.

فالحـقُّ أَبلـجُ لا تغيـبُ شموسُـه   يَجلـو خبايـا الخائـنِ المتشـرّدِ

إنه قول مردود مرذول سـاقط غير مقبول، لا يقول به ولا يصدقه إلا مجنون مخـذول، يحتاج إلىٰ صفع ورصع وردع وسـطع وقرع وقمـع حتىٰ يفيق ويرجع ويتوب، يقيمه أهل القضاء والعدل وولاة الأمر، وأهل العلم بالبيان.

إن لله غضبـةً لـو عاهـا   مَـن بَغـىٰ ماعـدا يمـطُّ اللسـانَ

إن تلك الثلة الشـاذة من الطاعنين في صحيح البخاري هم نكرات مجاهيل، دسـتورهم دستور زعيمهم مسـيلمة الكذاب، فإلىٰ مزبلة التاريخ صائرون، ويوم القيامة عند ربهم محاسبون، وماذا لرسول الله ﷺ قائلون!؟.

لا يفقهون ولا يعرفون أبجديات علم الحديث رواية ودراية ولا تاريخه، ولا يعرفـون الإمام البخاري ولا سـيرته وكتبه، وليس علـىٰ ما قالوا من علم وبرهان، ولكنه الهوىٰ والهذيان.

---

(١) الإحكـام لابـن حـزم (٢/ ٢٠٨) مفتـاح الجنـة في الاحتجـاج بالسـنة للسـيوطي (١/ ٥) العواصم والقواصم (٢/ ٢٧٤) إرشاد الفحول (٦٩) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (٢/ ٢٧٤).

لـن ينفعـوكَ بشـهرةٍ أو ثـروةٍ ... فالحـقُّ أضحىٰ قـد وعـاهُ الجيلُ
سـتبوءُ بالخسـرانِ حتمًـا لازمًا ... ولأنـتَ عنـد الأكرميـن ذليـلُ
عـن سـنةِ المختـارِ ندفـعُ باطـلًا ... ونـذودُ عنهـا والإلـه وكيـلُ(١)

هيهات ثم هيهات أن تفلح الأقزام في أن تطول أغصان الأشجار الباسقة، فالقزم سيبقىٰ قزمًا حتىٰ ولو لبس حذاءً بكعب عالٍ، والغراب غراب ولو قلد الصقور.

إنهـم يكذبون علىٰ الله لإضلال الناس، كذب في الألفـاظ والمعاني، قال الله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: ١٤٤] ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠].

لـك يـا رسـولَ الله منـا نصـرةً ... بالفعـلِ والأقـوالِ عمّـا يُفـترىٰ
نَفديـكَ بـالأرواحِ وهـي رخيصـةٌ ... من دونِ عرضكَ بذلهُا والمشترىٰ
بأبـي وأمـي أنـتَ يـا خيـرَ الـورىٰ ... وصـلاةُ ربـي والسـلامُ مُعطّـرا

إنـك تعجب كل العجب من قـوم في كل فن: في الطب أو الإدارة وغيرها من علوم الدنيا يقومون بالحث علىٰ العلم والتعلم والحفظ والتسليم لتلك النظريات وقداستها واحترام التخصص دون المخاطرة والمناقشة، وأما الدين فيكون تحت مجهر العقل وعدم التسليم وحماية التخصص، والدليل في تصديق أحكام الدين هـو العقـل، وفي غيرها نظريات أرسـطو وماركـس وداروين، وقـد قدموها علىٰ وحي رب العالمين.

أمة الإسلام: وفي السير دروس وعبر، ففي غزوة أحد ينادي ﷺ الرماة بقوله:

---

(١) من قصيدة لزيد الغنام.

«**إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم**»[١] فلما تركوا مكانهم هزم الجيش وكانوا سبعمائة.

إن كانت غزوة أحد قد انتهت، فإن مهمة الرماة الذين يحفظون ظهور المسلمين لم تنته بعد، ومن فتح الله عليه في حراسة ثغر من ثغور المسلمين، فليلزمه ولا يبرح، فالرباط الرباط.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

فاثبتوا، واصبروا، وصابروا، ورابطوا، ودافعوا، وتعاونوا، وتواصوا، وتناصحوا، ولا تفاضحوا، وائتلفوا ولا تختلفوا، فالخلاف شر، ولا تحاسدوا، ولا يخذل بعضكم بعضًا، وليثبّت بعضكم بعضًا، ولا يستعد ولا يبغ بعضكم علىٰ بعض، واحذروا فتنة القول وزخرفه، والباطل وغروره، وأهله - وإن جاءوا في ثياب الناصحين المتباكين الواعظين، وادعوا أنهم ممن ثنوا الركب عند العلماء الكبار-، فإذا فعلتم فإنكم غالبون ﴿...وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، وعند الصباح يحمد القوم السرىٰ، ولا تنظروا إلىٰ من تخلّف وتبدل وتلون، وليكن نظركم إلىٰ الثابتين المهتدين، ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ﴾ [الأنعام: ٩٠]، إنكم أصحاب الحق والرسالة والشرف والسؤدد والعزة.

فاسأل هدايتك الإله بنيةٍ ... فكفىٰ بربك هاديًا ونصيرا

إن صاحب الصدق مع الله لا تضره الفتن ما لم يتغير ويتبدل، ومن صدق مع الله صدق الله معه.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٣٩).

والنصـح والـرد علىٰ من أخطـأ ممن عُرف بعلمـه وفضله لا يعنـي انتقاصه واتهامـه في إيمانـه وتقـواه، فتأمل وتدبر رحمـك الله، لكنه يكون بـأدب النصيحة والحـوار وإنزال الناس منازلها، دون بغي وعدوان، وأما الجاهل البليد والمعاند المكابر والمتلون العابث فله شأن آخر.

ذكّـر أخـاك إذا تناسـىٰ واجبًـا أو عـــنّ في آرائه تـقصيرُ
فالـرأيُ يَصـدا كالحسـامِ لعارضٍ يــطـــرا عليـه وصقلُـه التَّذكيـرُ

فطوبىٰ للمرابطين والمدافعين عن هذا الدين: عقيدة وعملًا وأخلاقًا، والغزاة والمنافحين باللسـان والبيان عن حمىٰ شـريعة رب العالمين، وطوبىٰ للقابضين علىٰ الجمـر الثابتين، رافضي التلون والانحناء والعبث بالدين، كلما وهنوا قليلًا تعزوا بصوت النبي الكريم عليه الصلاة والسلام «**لا تبرحوا أماكنكم**».

فلـولا رجـالٌ صامـدونَ لهدّمـت منائـرُ ديـنِ الله مـن كلّ جانـب

هنيئًا لهم قوافل التائبين والمهتدين والثابتين وأجور ذلك عند رب العالمين.

والويل ثم الويل للمشككين والصادين عن شريعة رب العالمين، دعاة علىٰ أبواب جهنم.

والحسرة والوزر عليهم يوم أن يكون بسببهم الانحراف والإلحاد والانتكاسة والتبديل: عقيدة وعبادة وأخلاقًا وفكرًا.

يـا ويحهـم إنّ الهـوىٰ يَلهـو بهـم والمـوتُ في كنـفِ الهـوىٰ يتوعّدُ

دعوة لهم للتوبة والرجوع توبة صريحة معلنة لا لبس فيها ولا مراوغة.

كان الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يدعو في سـجوده بقوله: «اللهم من كان من هذه الأمة

علىٰ غير الحق وهو يظن أنه علىٰ الحق فرده إلىٰ الحق ليكون من أهل الحق»
ونحن نقول بمثل ما قال[١].

أيها الجيل: إنك لتحزن وتأسف لقوم يصدقون السفهاء الجهلاء، ويركضون وراء كل بليد ناعق، بدون عقل ولا روية، يأخذون بالشك ويتركون اليقين، ويهدمون ما يبنون، ويتركون العلماء للنكرات الجاهلين، وللعقل يقدسون، وبالنص يكذّبون، وبالجدال مفتونون.

متىٰ تصلُ العطاشُ إلىٰ ارتواءٍ إذا استقتِ البحارُ من الركايا
ومن يَثني الأصاغرَ عن مرادٍ وقد جلسَ الأكابرُ في الزوايا
وإنّ ترفعَ الوضعاء يومًا علىٰ الرفعاءِ من إحدىٰ البلايا
إذا استوتِ الأسافلُ والأعالي فقد طابتْ مُنادمةُ المنايا

واعلموا علم يقين أنها معركة بل معارك للقضاء علىٰ الدين وإن اختلفت الأساليب والقوانين.

إنهم أجمعوا أمرهم لمسخ وعي الأمة، وتغيير الثوابت، ونقض المحكمات، وتدنيس الحق، وتدليس الباطل، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: ٣٠].

انحرف أقوام تحت مطارق الشبهات، وآخرون تحت إغراء الشهوات، وتخصصت ثلة في التسويغ للجميع تحت عدة جهالات وأهواء وظلمات، بعضها فوق بعض وأشد من بعض.

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٩).

فأهلك الجميعُ أنفسَهم وهم لا يشعرون، وما يزال المسلم في فسحة إذا أذنب فتاب واستغفر حتىٰ يزين له الشيطان أن يزيد علىٰ اقتراف الذنب تسويغه، وعلىٰ فعل الحرام تحليله، فيكون في ذلك هلاكه، فإن كان ولا بد فليكن علىٰ نفسك، ولا تكن من دعاته وأنصاره، فتحمِل أوزارهم، وتزعزع ما هم عليه من الحق واليقين والاحتياط للدين وسنة سيد المرسلين، وتذهب بهم إلىٰ ما فيه شك ومخاطرة بدينهم، والسلامة لا يعدلها شيء، والنجاة النجاة.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠].

إنه ابتلاء وعقوبة يوم أن ينحرف المرء ويوهمه الشيطان باستقامته، وهو للشيطان أقرب وعن الله ودينه أبعد.

انتكاسة الماضي بسبب ضعف الإيمان مع اعتراف بالذنب والعصيان، وأما انتكاسة اليوم باسم الخلاف وتجديد الخطاب، وأي تجديد؟!.

تحليل للحرام، وقدح في سنة خير الأنام، وتعطيل لشعائر الإسلام ومحاكمة النصوص للأمزجة والعقول والأهواء، وهكذا دواليك حتىٰ تكون الكارثة وهي إنكار الدين.

ليست المصيبة العظمىٰ ولا الخطر الأعظم أن يقوم الصراع بين الحق والباطل، وإنما ألا يفرق بينهما، ويفقد الإحساس للتمييز بينهما، فتلك والله هي الكارثة والفاقرة والطامة والصاخة.

أيها الجيل: احذر أن تكون كالباحث عن حتفه بظُلْفِه، والجادع مارنَ أنفه

بكفه، فتلحق بالخاسرين أعمالًا: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

واحذر أن تعتمد على ما في قلبك من رسوخ الإيمان، وما فتح الله عليك من القول والعمل، فتعطي قلبك الحصانة والثقة، وتعتقد أنه لن يتسلط عليك الهوى والشيطان والشهوات والشبهات، فتغرق في قراءات وسماعات وخلافات ونظرات حرة بدون أي قيد أو حماية أو خوف، حينئذ كيف يكون الخلاص والنجاة؟!. وأنت تشاهد الإلحاد والتساقط والتلون، والشبه خطافة للإيمان والقلوب.

إن من يقدم العقل على الكتاب والسنة نهايته أن يغرق في بحر الأهواء والبدع والإلحاد، ومن تعوّد معارضة الشرع بالعقل لا يستقر في قلبه إيمان.

كيف النجاةُ من الخطوبِ تَخلّصًا   من بعدِ ما أنشبنَ فيّ مَخالبا

***

يا ربّ ثبّتنا على الإيمانِ   ونَجّنا من سُبُلِ الشيطان

الحذر كل الحذر من دعاة الضلال والبدعة والهوى والانحراف العقدي والفكري السالب للعقول والمدمر للأبدان والأوطان.

علماءَ الشريعة وحراسها وجيلها الأبي: إن المطلوب وواجب الوقت هو الدفاع عن فتنة التحريف في الدين، والتسويغ للخلاف الباطل والشاذ، ونصرة حقائق الدين، وسنة سيد المرسلين، ولا تستصغر كلمة الحق، ونشر العلم وتعليمه، في أي مجلس أو منتدى أو عبر أي وسيلة، وتحصين البيوت، بالعلم

والحكمـة واللين والحوار، انتشـروا في الأرض مبلغين هـذا الدين حتىٰ لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، ومن أغلق أو عجز عن باب فسيفتح الله له ألف باب.

تكلّـم وسـدّد مـا استطعتَ فإنمّـا ... كلامُـك حـيٌّ والسكوتُ جمـادُ

***

وبنشـرِ العلـمِ تَبقـىٰ خالـدًا ... في أجــورٍ وجـهـادٍ وعمـل

لا يصـل الوهن واليأس إلىٰ القلوب، ولا تتسـلوا بالفـأل ونصر الدين، دون البـذل والعمـل لشـريعة رب العالمين، واحذروا كل ما يسـبب الفتـن والفوضىٰ وعدم الأمن في كل مكان.

واعلموا أن في الآلام آمالًا، وفي المحن منحًا، وفي المصائب حكمًا وألطافًا.

سـبحانَ مـن زادَ البخـاري رفعـةً ... وعـليـه ألقـىٰ هيبـةً وحُبـورا

ومع كل ما تقدم فالخير في الأمة باق إلىٰ قيام الساعة، والدين باق ومنصور، ولن يموت، ولن يندثر، وقد تكالب الأعداء عليه علىٰ مر التاريخ، فما استطاعوا بـل خابوا وخسـروا، والمبشـرات تـزداد في العالمين، ولا يـأس، ولا حزن، ولا انكسـار، ولا انهـزام، قـال ﷺ: «**لا تـزال طائفة من أمتـي ظاهرين علـىٰ الحق لا يضرهم من خذلهم حتىٰ يأتي أمر الله وهم كذلك**»[1].

والعسـرُ مَهمـا قَسـا فاليُسـرُ يَتبعُـه ... وعـدٌ مـن الله هـذا الوعـدُ يكفينا

***

(١) رواه مسلم (١٧٠).